ونلفت النظر لما جاء في التقرير حول الدورات النظرية ونسبتها التي تتراوح بين ٢٥-٥٥٪ لدى كادرات الخارج من رابطة فما فوق. السؤال: ما هو جوهر هذه الدورات؟ فلئن كانت المدرسة السوفييتية، فهذا يعتوره خلل كبير أ. فالدورات في المعسكر السوفييتي «ليست ذاتها الدورات في الثلاثينات والاربعينات حين كان هدفها تخريج قادة ثوريين» وجراثيم ثورية»، ماو، لإطلاق رياح التغيير في العالم. ما أجمل كتاب جورج أمارو (فارس الأمل) حول هذا الموضوع، بل نخشى أن تقوم دورات اليوم بثلم نصل الثورية «الفطرية» للرفاق وتحولهم لرجال مكتبيين منطفئين يناسبون جهاز دولة بيروقراطياً بينما المطلوب فلسطينياً النموذج الفيتنامي والنموذج الكوبي، وهذا اعترضنا عليه من قبل، أي لنترك «للشيوعي الفلسطيني» النموذج السوفييتي فهو يفيد جزئياً، ولنحافظ على نموذجنا ونجذره. أي النموذج الذي شقت طريقه فتح والشعبية في البدايات.... بل إن تعميم «النموذج الشيوعي» من شأنه أن ينهي الثورة ونستجيب لأحد شروط أمريكا (إسقاط البندقية) بعد اعتماد قرار ٢٤٢ في المجلس الوطني، واجتماعات الأكاديميين في أمريكا مؤشر إضافي، والبقرطة الفاسدة التي يصورها ناجي العلي في لوحاته تربة خصبة وما شاهدناه في فيلم ناجي العلي (نور الشريف) ينذر بالسوء.... وما معنى أن يقول عرفات في اجتماع اللجنة التنفيذية أنه صرف مبلغا لشراء ٤٠ ألف قطعة سلاح في الداخل، إن لم يكن هناك كثرة من اللصوص الذين يزينون له لصوصيتهم..... فالأرض المحتلة بلا سلاح تقريبا، ولا يوجد صفقات بهذا الحجم ولا ١ ٪ منها.

كما لا يجوز نسيان تجربة منظماتنا الحزبية في الأسر، فالادلجة والتثقيف عملية دائبة وتسير على قدم وساق رغم طابعها المدرسي وقد تخرج منها مئات ومئات الكادرات، وبعض النابهين والألمعيين غاصوا في علوم الاقتصاد والاجتماع والفلسفة والثقافات القديمة والفكر الرأسمالي....

وعموماً ينبغي رفع المستوى العلمي والثقافي للرفاق، إذ لا يمكن أن نتصور الانتقال من المنظورات البدوية والفلاحية إلى الماركسية والاشتراكية دفعة واحدة. فلا مهرب من دراسة العلوم الرأسمالية أو بعضها وتبني موقف نقدي بما يمهد للنظريات الماركسية- اللينينية. وغرامشي كتب عن المثقف الريفي وعيوبه، وعلينا أن نضيف مخلفات القرون الوسطى والمنظورات الغيبية.... إذ علينا العودة للعقلانية الإغريقية ومنطق أرسطو كمقدمة لمادية فورباخ وديالكتيك هيجل كمقدمة بالتالي لماركس ولينين وما أضافته التجارب الثورية الاشتراكية والتحررية....

إنني أتساءل لماذا لا يتحرك الحزب الشيوعي السوفييتي ومنظمة الكومسمول، والأول قوامه ١٩ مليونا والثاني ٢٥ مليونا، لماذا لا يتحرك مجرد بضعة ملايين يقولون لا.... هل السبب هي الاوامرية فقط، أم أن الناس منذ زمن لا يملكون تفكيراً نقديا ومستقلاً....

علينا تعميق الفكر النقدي والمستقل والحوار الداخلي، أي ما كتبه غرامشي، ودون ذلك فالقيادة ستقرر وأدنى سينفذ، دون تفاعل ودون تصويب، بينما أذكر كلمات الحكيم أيام مذابح جرش وعجلون (إن الجماهير هي القادرة على حماية وتصويب القيادة) وعلى أقل تقدير أن تتفاعل معها وتختلف أحياناً، فهذا يخلق حيوية